

مقدمة

مفهوم (κλήσις) مردوثو، الذي يعني الثقافة في السريانية، مشتق من الفعل (κτι) والذي يعني "تثقيف، إعلام، المشي، الذهاب، الانخراط في التدفق، الانضباط والتوجيه، العقاب". وهذا يدل على أن الثقافة ليست مجرد تراكم للمعرفة، بل هي أيضاً رفيقة للإنسان في عملية بناء ذاته وتطوره. الثقافة هي تراث يزود الإنسان ليس فقط بالمعرفة بل أيضاً بالقيم والفضائل. الثقافة هي بوصلة حيوية للتقدم والنمو والنضج على طريق الحياة من خلال الالتزام بالمعايير الأخلاقية. إن غياب الثقافة يشبه الدلو المثقوب في أسفله والذي يستنزف طاقة الحياة دائماً. لذلك فإن تعبير "غير المثقف" لا يستخدم ليعني الجهل فقط، بل ليعني أيضاً الوقاحة وانعدام الأخلاق.

إن نور الثقافة السريانية الذي أضاف معاني أصيلة إلى تاريخ الفكر، قد أظلم وتلاشى مع مرور الزمن، ولكنه لا يزال له صدى معاصراً للتأمل الذي يحتضن القرون. إنه مثل صوت حزين يتحدث إلى الوعي الجريح في أيامنا هذه. هذا الصوت الذي يقاوم الاغتراب الذاتي ينصحننا بالنظر في مرآة الذات وإعادة اكتشاف الحقيقة.

هذا الصوت الحزين القادم من طبقات تاريخية يخلق رياح شمالية مريرة في قلبي، بينما يترك أيضاً ابتسامات حريرية على وجهي بإخلاصه الفريد. لقد سمح لي بحثي عن الحقيقة التي كنت أهتم بها في سن مبكرة أن أسمع هذا الصوت بشكل أعمق. في هذا الصوت العميق الذي أسمعته، يتردد صدى جوهر الحب والخدمة. هذا الصوت الذي يقدر العقل الموجه نحو الخدمة يذكرني بالتعليم: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بالكلمة التي تخرج من فم الله" (متى 4: 4). إن هذا التعليم هو دليل يشير إلى المادة والروح (الثنائية) التي توفر التوازن في الحياة. في فوضى الحياة يصل الإنسان إلى السلام بقدر ما يستطيع أن يحافظ على التوازن بين المادة والروح. وإلا فإن الإنسان سوف يظل عالقاً في التوتر الناتج عن هذه الثنائية والتناقض، ولن يتمكن من التحرر. وللفت الانتباه إلى هذه النقطة بالذات، قال القديس مار أفرام (306-373): "إن النفس الجائعة لا تشبع من الخبز"، فصرخ في إحدى صلواته قائلاً: "يا رب! دأني لا على أمور الدنيا التي تظلم نور عيني، بل على السمو الذي ينير نفسي".

(**مُحَلِّمٌ**) والتي تعني الكلام هي الطاقة الإيجابية التي تدعم الحياة؛ فهو يتضمن الخير والعدل والصدق والإخلاص والوفاء والمسؤولية والاجتهاد والكرم. إن الأمر الأساسي هو أن ينتج البشر قيمة مضافة لأنفسهم وللآخرين - أي للحياة. ومع ذلك، فإن أولئك الذين ينظرون إلى الحياة من خلال عيون مادية فقط (**لَسْمُ الخبز**) وليس من خلال (**مُحَلِّمٌ الكلمة**) غالبًا ما يواجه صعوبة في إيجاد التوازن بين الكلمة/المعنى ولكي نحقق هذا التوازن لا بد من دمج الحقيقة في الإنسان مع المثل الأعلى الإيجابي. لأن عدم وجود هذا المعنى يغذي الأنا، وليس الفكر الموجه نحو الخدمة؛ ويعمل على تقوية الأفكار الموجهة نحو القوة. وهذا يسبب الانجراف بدون بوصلة.

وتنصح الثقافة السريانية بالنظر في مرآة الذات ومواجهة الضمير أثناء اكتشاف الذات الحقيقية تحت إرشاد الروح. ويتوافق هذا الفهم مع مبدأ " **معرفة نفسك** ". لأن الإنسان عندما يتعرف على نفسه، فإنه يتعرف أيضًا على ثقافته؛ وبهذه الطريقة يقترب من هويته الأساسية ويتعزز شعوره بالانتماء.

إن الوصول إلى الذات الحقيقية ممكن من خلال إضاءة الجوانب المظلمة من الروح بالحب والمعرفة والحكمة. تقول الحكمة القديمة أن الروح والذات في عالم الإنسان الداخلي في صراع دائم. إن هذا النضال هو أعظم اختبار لمعرفة نفسك. إن الروح التي هي مصدر كل الفضائل والجمال، تلامس الإنسان بعطفها الشامل وتحمله إلى الحقيقة.

بحسب نية الفكر فإن العقل هو إما مصدر النور أو الظلام. أما الثقافة فهي بمثابة ضوء هاد في الصراع الداخلي بفضل التحول العقلي الذي توفره. فهو يساعد الناس على إيجاد التوازن وتحقيق السلام. إن العقلية الإيجابية لها تأثير كبير هنا. لأن الأفكار تنتشر كطاقة ليس فقط إلى العالم الداخلي للإنسان، بل أيضًا إلى بيئته. في الواقع، مكتوب في الكتاب المقدس: " **ليس ما يدخل الإنسان ينجسه، بل ما يخرج منه** " (مرقس 7: 15).

ويقبل هذا الفهم كمبدأ أخلاقي. عندما يتجذر الغضب والاستياء والغطرسة والأنانية والتحيز في العالم الداخلي، لا تظلم الروح فحسب، بل تعاني العلاقات الإنسانية أيضًا. لأن الروح مصبوغة بلون الأفكار. لذلك فإن تنقية الأفكار على طريق الوصول إلى الحقيقة هي خطوة لا

غنى عنها للحفاظ على نور الروح. لأن الأفكار السيئة تتحول إلى واقع داخلي مع مرور الوقت. فهو لا يسم العقل فحسب، بل البيئة أيضًا. الأفكار الإيجابية تنير العقل وتنقيه. إن ما نفكر فيه ونركز عليه أكثر من غيره يتحقق في النهاية. نحن نحصد ما نزرعه. لأن الخارج هو مرآة لما هو في الداخل. أينما يتم توجيه الاهتمام والفكر، تتركز الطاقة هناك. كلما زادت شكوانا، كلما وجدنا المزيد من الشكاوى. عندما نركز على الخير، فإننا نضاعف الخير. ومع ذلك، بدون الثقافة كبوصلة توجه أفكارنا، فمن المستحيل أن نتحرر من السلبيات التي تقيدنا أو تقيدنا.

لأن الثقافة هي مجموعة من القيم وأسلوب حياة يشكل الفكر والعالم العاطفي للأفراد الذين يشكلون المجتمع. كل شيء من التقاليد إلى اللغة والأدب والهندسة المعمارية والملابس والحكومة والموسيقى والمطبخ هو جزء من الثقافة. الثقافة هي القوة التي تعطي الإنسان هوية، وتثقفه عقليا وأخلاقيا، وتغذي الروح. إنها تتشكل من خلال دقائق اللغة ضمن ظروف الحياة وهي العامل الرئيسي الذي يضمن استمراريتها. إن الثقافة تتشكل في قالب اللغة، وتنتقل إلى المستقبل في حاوية اللغة. بدون اللغة لا يمكن أن يحدث التطور الثقافي والتقدم الفردي.

هناك تفاعل متبادل بين الناس والثقافة؛ في حين تساهم الثقافة في التنمية البشرية، فإن الناس أيضًا يطورونها ويوجهونها من خلال حملها وإبقائها حية. في حين أن التطور الفكري يعزز الثقافة، فإن التطور الثقافي يؤثر بشكل مباشر على تقدم الفرد والمجتمع. من المنظورين الاجتماعي والأنثروبولوجي، يعتبر الإنسان نتاجًا وحاملًا للثقافة. إن الضعف الثقافي يعني الهشاشة والتراجع في كافة مجالات الحياة.

وهذه السلبية لها أهمية أكبر بكثير بالنسبة للثقافة السريانية، التي تتمتع بعالم واسع من المعنى بعمقها التاريخي وثرائها الفلسفي. لأنه حتى الآن، إما تم تفسيره بشكل خاطئ من خلال إخراجها من سياقها أو لم يتم التعرف عليه وتقديمه بشكل كامل، مثل قطعة قماش مخططة بإبرة صدئة. ومن ثم، فإن هناك حاجة إلى جهود واعية ومبتكرة لتعزيزها بشكل صحيح وحماية مستقبلها.

ومع تزايد وضوح التراث التاريخي الذي شكلته الثقافة السريانية - الكنائس والأديرة وغيرها من الهياكل- بدأت الروح التي خلقتها أيضًا تثير المزيد والمزيد من الفضول. ومع ذلك، في عملية تنتشر فيها الاستغلالية على نطاق واسع، فإن تدوين وجهة نظر هذه الثقافة وإدراكها

للحياة، حتى لو كان غير مكتمل، ينبغي أن يُنظر إليه باعتباره مسؤولية لفهمها وحملها إلى المستقبل. لأن الإنسان لا يستطيع أن يفهم ما لا يعرفه، ولا يستطيع أن يحب ما لا يعرفه. من لا يعرف لا يستطيع الحماية، ومن لا يحب لا يستطيع الاهتمام.

من الممكن بناء المستقبل من خلال زيادة قوة التنوير. وهذا ليس مجرد مثال أعلى، بل هو مسؤولية أخلاقية أيضاً. ومن الأهمية بمكان أن يتمتع أولئك الذين هم في مناصب المسؤولية بهذا الوعي وأن يؤديوا واجباتهم على النحو الصحيح. لأن الوجود هو مسألة وعي وإدراك. جوهر الوجود هو أن نكون مفيدين، وأن نساهم في الخير، وأن نترك أثراً.

بغض النظر عن الاختلافات المرئية أو غير المرئية، فإن كل شخص نشركه الوجود والحياة له الحق في الوجود مثلنا. إن خير كل كائن حي هو خيرنا، ومرضه هو مرضنا. لأنه رفيقنا في طريق الحياة.

إن التقدم خطوة بخطوة على طريق الحياة فضيلة. ومن الضروري أن نسير على طريق الفضيلة من خلال استيعاب كل خطوة. إن السير من خلال استيعاب كافة المعلومات والوصول إلى النضج لمشاركتها هو الطريق الوحيد للنجاح الدائم، ولتكون إنساناً حقيقياً وللقوة الحقيقية.

لقد قمت بإعداد هذه الدراسة ذات القيمة الأصلية في مجالها للنشر بتشجيع من رئيس مجلس إدارة مؤسسة كنائس ميديا، السيد يوسف توركر. بدأت هذا العمل إيماناً مني بأهمية تقدير الجهود والمساهمة في الوعي الاجتماعي بشخص رئيسنا الموقر الذي جعل من خدمة الكنائس القديمة في مديا أسلوب حياة من خلال تحمل الصعوبات المختلفة بالصبر والتفاني على مدى السنوات الـ 35 الماضية.

أعظم أمنياتي؛ لا تُقرأ هذه السطور بالعينين فقط، بل أيضاً بنظرة داخلية وشعور. يساهم في التحول العقلي، ويترك أثراً دائماً على طريق الخير، ويزيد الخير. لأنه إذا أثار العقول وأدفاً القلوب فإن تأثير الواقع المشروط والأحكام المسبقة المختلفة التي تنتشر الكراهية سوف يضعف إلى حد كبير. وهكذا تتبدد الطاقة السلبية التي تضعف الروح، وتظهر بشكل تلقائي الطاقة الإيجابية الشاملة التي تخلق الحياة وتجعل الإنسان إنساناً. وأن طاقة الحياة سوف تزداد، وتتدفق من شخص إلى شخص، ومن قلب إلى قلب، ومن الكلمات إلى الجوهر.

يشرفني أن أنشر هذه الدراسة بعنوان "فهم الحياة في الثقافة السريانية" وأن أعرضها على قرائنا الكرام. وإذا تمكنت من تعريف شخص واحد على هذه الثقافة، فسوف أعتبر ذلك بمثابة نفخ حياة جديدة في ثقافة على وشك النسيان، وهو ما سيكون أعظم مكافأة ومصدر سعادة لا يوصف بالنسبة لي.

ملاحظة. كتبت هذه المقدمة للعمل المعنون بـ "فهم الحياة في الثقافة السريانية". سينشر هذا العمل قريباً على شكل كتيب بأربع لغات: السريانية، والعربية، والتركية، والإنجليزية، وذلك تحقيقاً للمنفعة العامة.

يوسف بختاش

رئيس جمعية الثقافة واللغة السريانية وادبها / ماردين